

الشؤون الاجتماعية والمعاون

مجلة شهرية تصدرها وزارة الشؤون الاجتماعية

كل ما يتعلق بالنشر والاشتراك يرسل باسم مدير التحرير مباشرة
قيمة الاشتراك فى اثنى عشر عدداً ١٥ قرشا

ليس للمجلة وكلاء ولا محصلون

مدير التحرير : حسن الشريف

إدارة المجلة : بديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

فهرس مواد العدد

صفحة	الموضوع
٣	أخلاق الإنجليزية - - - - - أحمد محمد حسين باشا
١٠	تفاوت السن بين الزوجين - - - - - علي جمال الدين باشا
١٣	الوظف الدينى فى خدمة المجتمع - - - - - عبد السلام الشاذلى باشا
١٨	حاجتنا إلى المرأة - - - - - دكتور محمد عبد المنعم رياض بك
٢١	الآثار المصرية فى الجبل اللبى - - - - - خليل مطران بك
٢٣	العقل - المال - إلهاء - - - - - محمد أحمد جاد المولى بك
٢٧	الكتب المدرسية - - - - - الأستاذ سيد قطب
٣٠	اختبار الشخصية - - - - -
٣٣	أغراض التربية الأمريكية ومثلها العليا - - - - - الدكتور تشارلس ووطن
٣٩	التعاون المنزلى فى مصر - - - - - الدكتور ابراهيم رشاد بك
٤٥	مساهمة الأعالى فى مشروع المراكر الاجتماعية فى الريف - - - - - الدكتور أحمد حسين
٥٠	عيوب الرجل وأثارها فى حياة الأسرة - - - - - السيدة زاهية مرزوق
٥٤	الجريدة وكيف تقرأ - - - - -
٥٧	النجاح والتفوق - - - - - الأستاذ سلامة موسى
٦٠	هجرة سكان المدن إلى الريف - - - - -
٦٣	كيف نربي المرأة التى تربينا - - - - -
٦٦	المعلم الازامى فى ميدان الحياة الاجتماعية - - - - - الأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم
٧٠	لكى تكون انسانا مهذباً - - - - - بقلم سريج
٧٤	مسكن الفلاح - - - - - الأستاذ محمود فهمى
٨٠	خواطر وملاحظات - - - - -
٨٣	جرائم النشل - - - - - البيز باشى صالح زكى
٩٠	مكتبة الأطفال وكشيمهم - - - - -
٩٢	المقاهى وأثارها فى المجتمع المصرى - - - - - الأستاذ أحمد حلى نيل
٩٥	بطاقات تهذيب التدوق العام - - - - - بقلم صالح
٩٨	متفرقات اجتماعية - - - - -
١٠٣	السعادة الزوجية وهل يمكن التكهين بها - - - - -
١٠٥	المخدرات فى مصر فى عام ١٩٣٩ - - - - -
١٠٨	العادات الموصلة الى النجاح - - - - -
١١٠	الجمعيات التعاونية - - - - -
١١٩	أسئلة وأجوبة - - - - -

أخلاق الانجليز

حبذا لو تقتبس منها أو تقتدى بها

حديث مع حضرة صاحب السعادة أحمد محمد حسين باشا

عظمة الشعب شيء وسر هذه العظمة شيء آخر، ومن العبث المطلق أن نشخص بعيون مذهولة إلى عظمة الشعب البريطاني وضخامة موارده وقوة أسطوله وبسطة نفوذه وثقافة أبنائه، دون أن نبحث سر هذه العظمة لمعرفة الأسباب التي جعلت من سكان هذه الجزيرة سادة امبراطورية قبل في وصفها بحق إن الشمس لا تغرب عن أرجائها .

والكتب التي وضعت في شرح هذه الأسباب عديدة ومسببة، وهي ليست في متناول يد الجميع ولا في متناول أفهام الجميع. ولعل كثرة ما فيها من نظريات وتفصيل وإحصائيات وفلسفات قد صرفت قراءدا القليلين عن محاولة سر هذه الأعماق فاكثفوا من تلك العظمة بمشاهدتها والإعجاب بها، دون التأمل فيها ومعرفة أسرارها .

وحضرة صاحب السعادة أحمد محمد حسين باشا أحد القلائل من كبراء المصريين الذين عرفوا الانجليز في بلادهم وخبروا طبائعهم ودرسوا أخلاقهم عن كثب، وهو فوق هذا رجل دقيق الملاحظة موفق الاستنتاج، يدرك بثاقب فكره ما تنطوي عليه الظواهر والمشاهدات من أسباب وعوامل خفية يدق إدراكها على الكثيرين .

ولقد آذنتي الفراسة بأنه الرجل الذي يفهم ما أرمى إليه عندما أطلب منه باسم "مجلة الشؤون الاجتماعية" أن يحدثنى عن مزايا الانجليز وصفاتهم التي يحسن أن تقتدى بها أو تقتبس منها ما يصلح به بعض الشيء من عيوبنا ونقائصنا .

لذلك ذهبت إلى سعادته وقلت له بلا مقدمات : "حدثنى عن الانجليز" .

أشعل الباشا سيجارة ولبث ينظر إلى لُحُب الثقب إلى أن انطفأ ثم ابتم وقال : أنت تذكرنى بطالب في إحدى الجامعات طلب منه أن يلقي على إخوانه في الدراسة موضوعا لا يستغرق من الوقت أكثر من عشر دقائق، فاختر موضوعا عنوانه "علم طبقات الأرض، ماضيه وحاضره ومستقبله" .

فاحتججت قائلا : "ولكننى لا أطلب في هذا الحديث التصغير أن أعرض لماضى الانجليز وحاضرهم ومستقبلهم. وإنما أريد أن أعرف أهم المزايا التي كانت سر رقيهم وتفوقهم، كما أريد أن أعرف الخواطر التي يوحى بها إلى ذهنكم ما تلاحظونه من نقص في أخلاقنا نحن المصريين" كلما ذكرتكم الانجليز وأخلاق الانجليز .

انفجرت أسرار الباشا وقال : " الحمد لله . الآن جملت للحديث حدودا يمكن أن نحصر الكلام فيها فلا يمتد بنا الاستطراد إلى اعتبارات لا نهاية لها . ولكن لا ننظر منى أن أتقى على قراء مجلتكم درسا في علم الاجتماع ، ولا أن أذهب فأتقصي الأسباب والنتائج وأرتب الظواهر على المقدمات ، فمثل هذه الأبحاث لا يمكن أن تكون موضوع حديث صحفى كالذى جئني من أجله ، و يقينى أنه ليس أثقل على نفس القارئ من النظريات الجسافة والمقررات الفلسفية التي تتشعب فيها الأفكار وتختلف الآراء . فالتعصر حديثنا إذن على ذكر بعض المشاهدات واستعراض بعض الظواهر وسرد بعض الذكريات ، فلعل فيها ما يفيد القارئ مباشرة أو ما يدعوه إلى التأمل والموازنة والاستنتاج ."

وشخص الباشا بصره نحو مقف القرفة وصار يتبع بعينه حلقات الدخان المتصعدة من سيجارته ثم اقبل على باسما وقال :

هل تدري كيف يقدر الانجليز الرجال وبأى ميزان يزنون الشخصيات ؟ الرجل في نظر الانجليز بقيمته الشخصية أولا وقبل كل اعتبار . فللقائد المناز أو الطيار المجازف أو الرحالة المفامر أو الرياضي المتفوق أو الصناعي المخترع أو العالم المستكشف مكانة عالية في نفوسهم لا يتمتع غيره بمثالها مهما علا منصب هذا الغير أو كبرت ألقابه المنوحة والموروثة . ولقد يعطى واحد من هؤلاء بمنصب رفيع في الحكم فلا تطفى صفته الرسمية على الصفة الأخرى التي امتاز بها من قبل ولا تطمسها . فاذا حدث مثلا أن اختير أحد المختريين أو المستكشفين نائبا أو وزيرا فان المخترع أو المستكشف يظل هو الأهم في نظر الانجليز ، وهو الجدير بالتقديم والتكريم ، وهو الأولى بالاحترام والإجلال . وهذه الصفة التي ستلازمه مدى الحياة وبعد המת هي التي يقدم بها الى الناس ، لأنها في عرفهم مفخرة حياته ودليل تفوقه والبرهان المادى على أنه رجل ذو قيمة . فاذا قدمه كبارهم الى بعضهم قالوا : فلان المخترع المعروف أو فلان المستكشف المشهور ، وقليل منهم من يستدرك فيضيف : ... وعضو مجلس العموم أو وزير الداخلية . ذلك بأن الصفة الرسمية صفة مؤقتة تحترم الاحترام الرسمي الواجب لها لا الواجب لصاحبها الذي ربما يكون قد وصل اليها بحكم حالات وظروف مستقلة عن كفايته ومواجهه . " ومن هنا امتاز الشعب الانجلى بروحه الثوابية وبغضه للحياة المادنة الرتيبة ، وحبه للفاصمات والمجازفات ، وولمه بأخبار الاكتشافات الجديدة في البر والبحر ، والتوقل في الجبال واقتحام الأجواء ، وارتياذ المجادل والأماكن الموحشة في القسارات . ولعل الزواج الذي تصادفه الكتب المؤلفة في هذه المواضيع لا تصادف بعضه أمهات الكتب المؤلفة في غيرها . والتلميذ الانجلى يعرف اسم لفتنجستون ومكتشفاته الافريقية ويرى وسكوت ومكتشفاتها القطبية ، ويهتم بتتصى حياة هؤلاء الرجال وتفصيل مغامراتهم في شوق لا مزيد عليه . والمجتمعات الانجلىزية تتبج أخبار رحلة جريشة كرحلة الطيار لنديج من امريكا الى أوروبا

بنفس الاهتمام الذى نتبع به هنا فى مصر أخبار أزمة وزارية شديدة أو أخبار قضية سياسية هامة. وإذا جلست بين جماعة من الشبان الانجليز فى ناد ألفت أحاديثهم تدور حول سيرة الأبطال الرياضيين والألعاب الرياضية وأنواع الهوايات المختلفة. أما السياسة والأحزاب فلها من الأحاديث أقل نصيب .

”وحب المغامرة وارتداد الآفاق ومعرفة المجهول هو الذى يجعل الانجليزى يقبل بارتياح على الوظائف فى المستعمرات النائية والأجواء المؤذية ولو كانت هذه الوظائف فى أقاصى الهند أو فى مجاهل السودان . وهذا يذكركنا مع الأسماء الشديدة بالشباب المصرى الذى اذا نقل من القاهرة الى طنطا أثار السماء والأرض وحرك جميع الوسطاء حتى يلقى نقله و يظل فى القاهرة .

”وأنت تعلم أن معظم الامبراطورية البريطانية انما قام على كواهل رجال مغامرين أمضوا حياتهم فى الغربة بعيدين عن الأهل والوطن ، جاهدين فى سبيل تحقيق فكرة أو وضع أساس مشروع ، ولعلك لا تجهل اسم سيسل رودس وكيف مهد لانجلترا سبيل الاستيلاء على جنوب أفريقيا، ورجال شركة الهند الشرقية وكيف عملوا هناك على جعل الهند مستعمرة بريطانية ، ولعلك لا تجهل مبلغ الحزن الذى استولى على إنجلترا كلها لما ظهر أن الرحالة النرويجى امندسن قد سبق القبطان سكوت الى القطب الجنوبى بمدة لا تتجاوز الأسبوع“ .

قلت : ”لعل الروح الرياضى الذى يسود حياة الانجليز هو الذى ينمى فيهم حب المغامرة وفضيلة الجلد والإقدام“ .

فضرب الباشا مكتبه بقبضة يده وقال متحمسا : ”بالطبع . . فاهتمام الانجليز بالرياضة لا يقل عن اهتمامهم بالثقافة بل لعله أكبر . . . وأرجو ألا تعجب اذا قلت لك إن بين كل عشر جماعات انجليزية لا تجد غير واحدة تتحدث عن السياسة أو التجارة أو الثقافة بينما الآخرون يتحدثون عن الرياضة وأخبارها. وليس الاهتمام بالرياضة هناك كما هو هنا ، عبارة عن قراءة أنباء بعض المباريات وذكر أسماء بعض الأبطال الرياضيين والمراهنة على الخيول، وإنما هو اهتمام يجعلهم يقبلون على أنواعها المختلفة رجالا وشيوخا ونساء وصيانا ، حتى أنك تكاد لا تعرف انجلترا لا يمارس نوعا منها . واهتمام الجامعات هناك بالألعاب الرياضية يفوق تصورا نحن المصريين حتى ليسمح بعضنا لنفسه بالسخرية من فرط هذا الاهتمام .

”ان العناية بالرياضة فى جامعات بريطانيا العظمى لا يقل عن العناية بالتعليم نفسه . وهذه الجامعات تنفق نفقات عظيمة فى سبيل إعداد وتدريب وتهيئة الفرق الرياضية التى تضمن لها النصر فى المباريات . وجمهور الانجليز يعرف اسم ”الكابتن“ لفرقة إكسفورد أو كبريدج ويميزونه ، فى حين أنه قلما يعرف أسماء الأوائل والمتفوقين فى كليات الآداب أو العلوم.

”وللرياضي المتفوق في اكسفورد وكبريدج شارة يعرف بها. وهي زرقاء داكنة في اكسفورد وزرقاء سماوية في كبريدج وتسمى Blue. ولحامل هذه الشارة مكان ملحوظ في المجتمعات البريطانية حتى أنهم إذا ارادوا أن يقولوا عن شاب إنه كامل الرجولة كامل المروءة كامل الأخلاق قالوا He is a blue وهم محقون في ذلك، لأن الشاب لا يحصل على هذه الشارة إلا بعد جهاد عنيف تقوده روح رياضية سامية تصهر نفسه وتنقى أخلاقه وتم رجولته .

وكما أن الناشئين تسحب من صاحبها إذا ارتكب جريمة مخلة بقواعد الشرف فإن الشارة الرياضية الزرقاء تسحب من حاملها إذا فسدت أخلاقه أو ساءت سمعته أو أصبح غير أهل لحملها لسبب من الأسباب . ذلك لأن الرياضة والأخلاق شيان متلازمان يتم أحدهما الآخر .

”ولا تنس النظام Discipline عند الانجليز، فالنظام عندهم ليس قانونا ولا فرضا وإنما هو خلق فطرى يكاد لا يحتاج الى تعليم أو تلقين . وهذا الخلق يجعلهم يطعمون الفوائد واللوائح والعرف عن رغبة واختيار لا تكلف فيهما ولا إكراه، وهذه الطاعة الاختيارية للنظام تراها في المجالس النيابية كما تراها في ميادين الرياضة، والاندية السياسية للأحزاب . فتى أتفتت جماعة منهم على انتخاب رئيس وجبت طاعة هذا الرئيس ولم يبق محل للاختلاف في شأنه ولا للتفكير في الخروج عليه . وما دامت رياسته قائمة فالكل يعرف لها حقوقها ويحترمها .

”أذكر، لما كنت عضوا في فرقة كرة القدم بكلية باليول ، أننا كنا في مباراة هامة وأن الكرة وصلت إلى قدمي وأنا قريب من الهدف . فلما هممت بتعميها إليه ، ناداني الكابتن أن أناوله إياها ، ولكني رأيت الفرصة طيبة لإصابة الهدف فلم أطع الأمر وقذفت الكرة فأخطأت المرمى . ولقد لفت الكابتن نظري بعد اللعب إلى هذه المخالفة ، ورجا مني ألا تتكرر . ثم حدث بعد ذلك أن كنا نلعب في مباراة أخرى وتجدد نفس الموقف وكنت هذه المرة قريبا جدا من الهدف فناداني الكابتن : هات يا حسين ، ولكني لم أسمع إليه وضربت الكرة فأصابت المرمى . فهل تدري ماذا جرى ؟ استدعاني الكابتن إليه وقال لي : ” إنك يا صاحبي تأتي أن تخضع للنظام ، ولذلك أبلغك مع الأسف الشديد أني لا أستطيع الاحتفاظ بك في فرقتي بعد الآن “ فاحتججت بأنى كنت على حق ، بدليل أني أصبت المرمى ، فقال لي : ” ولو ... النظام قبل كل شيء “ وهكذا فصلت من الفرقة لأنهم يعتبرون النظام ولو أدى إلى فشل خيرا من الفوضى ولو أدت إلى نجاح ...

”ولعل من أبرز صفات الانجليز اعترازهم بالكرامة التومية وبغضهم للفوضى وإعراضهم عن القال والقليل . فالحفظ عندهم يشبه الحياء ، وهو يعم السكان أفرادا وجماعات . وقلما تسمع في انجلترا عن فضيحة تمس رجلا من رجال الدولة أو موظفا كبيرا أو هيئة من الهيئات العامة . ولست أريد بذلك أنهم شعب متره عن الخطأ ، ولكنني أعني أنهم يغسلون ثيابهم القذرة في بيتهم ولا يمرضونها على الأنظار . فإذا زل أحد كبار الموظفين أو ارتكب خطأ عظيما عمدت الحكومة إلى التخلص منه بلا كشف يفضح ولا تحقيق يبين . وإذا ظهرت

بوادر فضيحة سياسية أو إدارية أو مالية بادرت الحكومة إلى سترها أولاً ثم إلى معالجتها بعد ذلك في غير ما شوشرة ولا إعلان . وهكذا تصون الحكومة هيئة الحكم ولا تعرض الهيئات العامة إلى عبث القيل والقال .

وابتسم الباشا وحزن رأسه كمن يريد أن يتكلم فتمنعه بعض الاعتبارات . فقالت : لعل ذلك يذكر سعادتك بجنبنا نحن المصريين لإظهار فضائنا وهو أيتنا الشديدة للتشهير والتنديد ، وحرصنا على هدم كبرائنا والإساءة إلى سمعة زعمائنا وذلك الصراع الحزبي الذي لا يبقى على عرض ولا كرامة شخصية .

فصمت الباشا طويلاً ثم قال : " ليس من شأني أن أخوض في مثل هذه الأشياء ، وأنا إنما أحدثك عن الانجليز لا عن المصريين ، ولك أن تستنج وتوازن وتستخلص كما تشاء . دعني أقول لك أيضاً إن من أسمى الأخلاق الانجليزية الشجاعة في تحمل التبعات وبغض التهرب منها وتحمل الأعداء لتبريرها ، فلا يكبر على نفس الانجليزى عند ما يثيب في معنى أو عند ما يفشل في عمل أن يصرح بالخيبة وأن يرجع أسبابها إلى تدمير قصره أو خطأ وقع فيه ، ولست أسمع منه عبارات " لو كان ... ولولا أن ... وماذا أفعل ... " وهذا خلق يدل على الرجولة الكاملة وتقدير معنى المسؤولية والشجاعة التي لا تجعلك تلقى التبعة على غيرك ما دمت تعرف أنك أنت المسئول .

" ووطنية الانجليز وطنية صامته ، والانجليز على وجه عام يعتبرون من الشعوب الشمالية التي لا تعسخب في احتفالاتها ومظاهراتها ، وحبهم لوطنهم يبتدئ من الأشياء الطبيعية التي لا تحتاج إلى طنطنة ولا يلبق بأحد أن يفخر بها أو يفانحها غيره . والتضحية الوطنية عندهم أمر عادي لا يتحدثون به ولا يتباهون ، بل ولا يفتخر بها لهم . أنهم يستحقون عليه مكافأة أو تكريماً . ولقد دأب الانجليز مئات السنين وهم لا يحتاجون إلى نظام إجباري للخدمة العسكرية ، لأن كلا من الجيش والبحرية والطيران كان يجد جنوده بالتطوع ، ووطنية الانجليز تبدو في السلم كما تبدو في الحرب ، فإن أعظم المؤسسات الاجتماعية الكبرى قد أنشأها وبنواها من الانجليز وقد أخفى بعضهم حتى اسمه وتقديم للخدمة العامة وهو جندي مجهول . وهناك أفراد من الأغنياء قد تبرعوا لأعمال البر والخير بملايين من الجنيهات ، ولعلك تعلم أن لورد نيفيلد صاحب مصنع سيارات موريس قد بلغت تبرعاته في هذا السبيل خمسة عشر مليون جنيه .

" ومن الأمراض الخلقية التي برئ منها الانجليز : المحابة ، محاباة الأقارب والأصدقاء والمحاسيب ، ذلك السوس الذي ينخر في عظام الدولة في كثير من الأمم ، لا يعرفه الانجليز ، فالجميع عندهم أمام القانون وأمام النظام سواء ، وهذا هو الشأن في المناصب والتوظيف والترقي والمكافآت والواجبات العامة ، لا تمييز لطبقة على طبقة ولا لفرد على فرد ، ولا فرق بين ابن العامل الصغير والوزير الكبير .

” حدث في الحرب العالمية الماضية أن أشجع أن ابن مستر لويد جورج رئيس الوزارة إذ ذاك قد وضع في خط خلفي من خطوط المحاربين حتى لا يتعرض للقتل في الصفوف الأمامية . وقد سئل مستر لويد جورج عن ذلك في البرلمان ، فصعد إلى المنبر وأعلن أن هذا الزعم محض افتراء وأن ابنه في الخط الأول من خطوط النار ، وقال إنه مستعد لأن يذكر للسائل موقع هذا الخط بصفة سرية ، لأنه يخشى أن يعلم العدو هذا الموقع إذا صرح به علانية . وهذه الإشاعة إن صحت تعرض رئيس الحكومة لموقف خطير قد يؤدي إلى سقوطه باعتبار أنه رجل يستغل نفوذه لتحقيق منافع شخصية . وحدث أيضا في تلك الحرب أن وضع نظام البطاقات على كثير من الأطعمة . وقد ذكر مستر لويد جورج في مذكراته عن الحرب أنه عندما كان يطراً عليه ضيف في تلك الأيام كان يحرم نفسه من كمية الزبدة أو اللحم المقررة له لكي يقدمها للضيف . وليس ثم دليل أكبر من هذا على حرص الموظفين الانجليز في تعميم المساواة لا يجابون كبيرا ولا يظلمون صغيرا ، وفي هذا أيضا دليل على اطمئنان الشعب ، خاصته وعامته ، إلى العدالة وحسن تطبيقها على الجميع .

” ولا بد لي من أن ألفت نظرك إلى أن المدرسة الانجليزية تتمايز بكونها تعنى بتعليم الأخلاق عنايتها بتعليم العلوم ، فالمعلم الانجليزي صديق تلميذه ورفيقه ومرشده ، وهو لا يحرص اهتمامه في المواد الدراسية التي يلقنها لتلميذه ، وإنما يدع هذا الاهتمام يمتد إلى تعرف استعداد هذا التلميذ واستكشاف دواخيه واتجاهاته التي لا تزال غامضة ، وإلى توجيهه التوجيه الذي يتناسب هذا الاستعداد وينمي تلك المواهب ، كما يمتد إلى تعرف أسلوب المعيشة الذي يتبعه التلميذ في حياته . وحين ترى نوعا من المزاملة يسود معاملة الأساتذة للتلاميذ ، إذ يصحبونهم إلى الزهرة في الخلاء أو إلى زيارة بعض الأماكن ويتحدثون اليهم في مخاف الشؤون أحاديث فكمية طريقة تنطوي على التهذيب والتقويم والارشاد من دون أن يبدو عليها وقار التدريس ولا جد التعمد . وهكذا يتعلم الشاب الانجليزي الأخلاق وهو يلهو ويتزهد ويعبت ويلاعب . وبديهي أن الأخلاق لا يمكن تعليمها بالتلقين وإنما هي تعلم بالقدوة الحسنة والمثل الطيب والايحاء الصالح والتعليق على الحوادث والأشخاص تعليقا ذكيا تستخلص منه العظات والعبر الفاضلة فترسخ في النفس رسوخا يؤثر فيها مدى الحياة . والبيت الانجليزي يعاون المدرسة في تكوين أخلاق الطفل وصيانتها من المؤثرات الضارة . والطاقل الانجليزي لا يشهد في البيت مناظر التنافر والمشادة بين والديه ، ولا يحظى منهم بهذا التذليل الأحمق الذي يصور له أن الدنيا كلها قد جعلت لإرضائه والاستجابة لرغباته ، ولا يتساحح معه فيما يستحق انزوم أو التعنيف أو العقاب ، ولا يكافأ على كل عمل يحسنه حتى لا يفهم أن الأصل في الحياة هو التهانن والترانى وأن الاحسان عمل ممتاز يمنح من أجله المكافآت وتندق عليه بسببه الهبات .

” والشاب الانجليزي أنيق في هندامه ، ولكن أناقته بعيدة عن صفات الأنوثة . فهو لا يتحطر ولا يطلى أظفاره بالممعات ولا يتعمد أن يجعل رباط رقبته وجوربيه ومنديله من لون واحد ولا يترك المنديل يتدلى على صدره ولا يتغلى بالجواهر . وأو أن تفصيل الملابس للرجال في لندن لا يساويه في الأناقة إلا تفصيل ملابس النساء في باريس ، إلا أن السات الغالية في هذا التفصيل هي المحافظة على مظهر الرجولة التامة وتأكيد المتانة قبل كل شيء .

” وكما نرى الانجليزي يتحفظ في هندامه ويكره البهجة ، تراه يتحفظ في لفته وإيماءاته وكلامه . فهو ساكن في الحديث قلما يرفع الصوت أو يكثر من الاشارات . وهو في الغالب صامت ، ولا يتكلم إلا عند ما يجب الكلام ، فعندئذ يتكلم ولكن بقدر ويعبر عن رأيه بأقل عدد ممكن من الكلمات . ولعلك لاحظت أن الانجليزي لا يقول شيئاً بالهجة التأكيد ولا يستعمل صيغة المبالغة ولا أفعل التفضيل ولا يعزز أقواله بالإيمان ولا ياجأ الى الكلمة الجارحة إذا وجد عبارة مؤدبة تؤدي معناها . وإنما تسمعه يقول : أظن . . . وأرجح . . . ومن أحسن ما رأيت وفلان شخص يحذر منه . . . أو غير مرغوب فيه . . . وهكذا .

” وبعيد جداً أن تسمع شاباً انجليزياً يتحدث عن غرامياته ، أو يفخر بغزواته في هذا الميدان أو يذكراهم سيده عرفها . فالغرام عند الانجليزي كاد يكون مقدساً ، وهو سر حميم بين الواحد وحبيبته لا يباح به ولا يجرى على لسانه . وإذا حدث وسمح شاب لنفسه أن يفعل ذلك في جمعية من الأصدقاء فإن الآخرين لا يترددون في طرده من بينهم .

” والانجليزي أيضاً يكره المنهى والسمر فيه ، لأنه يحب بيته ويريد أن يكتن فيه . فإذا أراد الاجتماع بالاصدقاء التحق بأحد الأندية التي تجمع بينه وبين زملائه في الطبقة الاجتماعية التي ينتسب اليها . وهناك يختلط بأعضاء يعرفهم ولا تنفى شخصيته في مجموعهم . ومن ثم فالأندية كثيرة في لندن ، حتى لقد تعدت بالمئات ، أما القهاوى العامة فقلما تجدها إلا أن يكون ذلك في الأحياء التي يقطنها الأجانب “ .

وهنا نظر الباشا إلى ساعته وقال : ” إن للواعيد قيمة كبرى عند الانجليز ، والمحافظة عليها خلق من أظهر أخلاقهم وأدب من أبرز آدابهم . ولم أعرف انجليزياً أخلف موعداً معي إلا أن يكون ذلك لعذر خارج عن إرادته . ومع ذلك فهو لا يفوته أن يخطر في الوقت المناسب حتى لا تضيق وقتك في انتظاره سدى “ .

قلت وقد أعجبتني هذه الإشارة اللطيفة وهممت بالانصراف : ” يظهر أن سعادتك على موعد قريب “ فضحك الباشا وهو يمد يده مسلماً وقال : ” هذا صحيح وإذا كنت ترى أن الموضوع يتطلب المزيد فلنرجئ البقية الى فرصة أخرى “ .

وخرجت وأنا أفكر في هذا وأقول لنفسى : أين كل هذا مما نراه في مصر ... سبحانك ربى إن الفرق اعظيم !